المحاضرة الرابعة: المكي والمدني

اسم المادة : تأريخ القرآن

اسم التدريسي : أ.د.فراس يحيى عبدالجليل

القسم : التفسير وعلوم القرآن

المرحلة: الأولى

عنوان المحاضرة: المكي والمدني

مصادر المحاضرة : الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ، البرهان في علوم القرآن للزركشي ، مناهل العرفان في علوم القرآن : الزرقاني .

تعريف المكي والمدني: لغة واصطلاحا:

المكي لغة : ما نزل بمكة

المدني لغة: ما نزل بالمدينة.

للعلماء في الفرق بين المكي والمدني ثلاثة آراء اصطلاحية، كل رأي منها بُنِيَ على اعتبار خاص.

الأول: اعتبار زمن النزول، فالمكي: ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدني: ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، فما نزل بعد الهجرة ولو بمكة، أو عرفة: مدني، كالذي نزل عام الفتح، كقوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّواْ الأَمَانَات إِلَى أَهْلِهَا} ، فإنها نزلت بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم، أو نزل بحجة الوداع كقوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا} ، وهذا الرأي أولى من الرأيين بعده لحصره واطراده.

الثاني: اعتبار مكان النزول، فالمكي: ما نزل بمكة وما جاورها كمِنى وعرفات والحديبية. والمدني: ما نزل بالمدينة وما جاورها كأُحد وقُباء وسلع.

ويترتب على هذا الرأي عدم ثنائية القسمة وحصرها، فما نزل بالأسفار أو بتبوك أو ببيت المقدس لا يدخل تحت القسمة ، فلا يسمى مكيًّا ولا مدنيًّا، كما يترتب عليه كذلك أن ما نزل بمكة بعد الهجرة يكون مكيًّا.

الثالث: اعتبار المخاطَب، فالمكي: ما كان خطابًا لأهل مكة، والمدني: ما كان خطابًا لأهل المدينة.

وينبني على هذا الرأي عند أصحابه أن ما في القرآن من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} مكي، وما فيه من قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الذَّينَ آمَنُواْ} مدني.

وبالملاحظة يتبين أن أكثر سور القرآن لم تُفْتَتَحْ بأحد الخطابين، وأن هذا الضابط لا يطرد، فسورة البقرة مدنية، وفيها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ٤.. وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلالًا طَيِّبًا وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} ، وسورة النساء مدنية وأولها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وسورة الحج مكية، وفيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} ، والقرآن الكريم هو خطاب الله للخلق أجمعين، ويجوز أن يخاطب المؤمنون

بصفتهم وباسمهم وجنسهم، كما يجوز أن يؤمر غير المؤمنين بالعبادة كما يؤمر المؤمنون بالاستمرار والازدياد منها.

<u>مميزات المكي والمدني :</u>

ضوابط المكي ومميزاته الموضوعية:

١- كل سورة فيها سجدة فهي مكية.

٢- كل سورة فيها لفظ "كلا" فهي مكية، ولم ترد إلا في النصف الأخير من القرآن. وذُكرت ثلاثًا وثلاثين مرة في خمس عشرة سورة.

٣- كل سورة فيها: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ} وليس فيها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ} فهي مكية، إلا سورة الحج ففي أواخرها: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا} .. ومع هذا فإن كثيرًا من العلماء يرى أن هذه الآية مكية كذلك.

٤- كل سورة فيها قصص الأنبياء والأمم الغابرة فهي مكية سوى البقرة.

٥- كل سورة فيها آدم وإبليس فهي مكية سوى البقرة كذلك.

- كل سورة تفتح بحروف التهجي كـ "ألم" و"الر" و"حم" ونحو ذلك فهي مكية سوى الزهراوين: وهما البقرة وآل عمران، واختلفوا في سورة الرعد.

هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١- الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكر القيامة وهولها، والنار وعذابها، والجنة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقلية، والآيات الكونية.

٢- وضع الأسس العامة للتشريع والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح جرائم المشركين في سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلمًا، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات.

٣- ذكر قصص الأنبياء والأمم السابقة زجرًا لهم حتى يعتبروا بمصير المكذبين قبلهم، وتسلية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى يصبر على أذاهم ويطمئن إلى الانتصار عليهم.

٤- قصر الفواصل مع قوة الألفاظ، وإيجاز العبارة، بما يصخ الآذان، ويشتد قرعه على المسامع، ويصعق القلوب، ويؤكد المعنى بكثرة القَسَم، كقصار المفصَّل إلا نادرًا.

<u>ضوابط المدني ومميزاته الموضوعية:</u>

١- كل سورة فيها فريضة أو حد فهي مدنية.

٢- كل سورة فيها ذكر المنافقين فهي مدنية سوى العنكبوت فإنها مكية.

٣- كل سورة فيها مجادلة أهل الكتاب فهي مدنية.

هذا من ناحية الضوابط، أما من ناحية المميزات الموضوعية وخصائص الأسلوب فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١- بيان العبادات، والمعاملات، والحدود، ونظام الأسرة، والمواريث، وفضيلة الجهاد، والصلات الاجتماعية، والعلاقات الدولية في السلم والحرب، وقواعد الحكم، ومسائل التشريع.

٢- مخاطبة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، وتجنيهم على الحق، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغيًا بينهم.

٣- الكشف عن سلوك المنافقين، وتحليل نفسيتهم، وإزاحة الستار عن خباياهم، وبيان خطرهم على الدين.

٤- طول المقاطع والآيات في أسلوب يقرر الشريعة ويوضح أهدافها ومراميها.

الطريقة الموصلة لمعرفة المكي والمدني:

يمكن التوصل إلى معرفة المكي والمدني عن طريقين رئيسيين هما:

الأول: الرواية الصحيحة (النقل الصحيح) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن الصحابة، فإن الأخبار الصريح عن الصحابي عن مثل هذا يكون له حكم المرفوع.

الثاني : السماع ممن شاهدوا التنزيل أو وقفوا على الأسباب وبحثوا فيها من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن اكتسبوا علومهم على أيدي العلماء الموثوقين .

وقد ذهب السيوطي إلى أن قول التابعي يقبل ويكون له حكم المرسل إذا كان صريحا في سبب النزول .

أ- أقوال الصحابة والتابعين – رضي الله عنهم –

وذلك باعتبار شاهدوا الوحي ونزوله ، وعرفوا مكانه وزمانه ، بل بلغت الدقة أن أخبرونا بها نزل منه ليلا أو نهارا ، وما نزل منه في سفر أو في حضر في سهل أو في جبل ، صيفا أو شتاءً ، وما نزل ببيت المقدس والجحفة والحديبة والطائف وغير ذلك .

<u>روايات تؤكد معرفة الصحابة والتابعين بالمكي والمدني :</u>

١. ما قاله ابن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت؟ ولا نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت؟ ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه".
٢. وَقَدْ رَوَى مَعْمَرٌ عَنْ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيًّا يَخْطُبُ وَهُوَ يَقُولُ: "سلوني فوالله لا تسألوني عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَخْبَرْتُكُمْ وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَّهِ فَوَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ أَمْ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ" .
وقول الصحابي له حكم المرفوع عن النبي، فإذا صح القول عن الصحابي قُبلَ ولا يعدل عنه إلا بدليل أقوى يقتضي هذا العدول.

يقول الباقلاني : " إنما يرجع في معرفة المكي والمدني لحفظ الصحابة والتابعين

<u>فوائد المكي والمدني:</u>

لدراسة المكي والمدني فوائد تعين على أمور كثيرة، ومن أهمها:

١. معرفة الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، فإننا نحكم بأن المدني فيها ناسخ للمكي نظرا الى تأخر المدني عن المكي .
٢. معرفة التدرج الحكيم في تأريخ التشريع ، وذلك يترتب عليه الإيمان بسمو السياسة الإسلامية في تربية الشعوب والأفراد .

٣. الثقة بهذا القرآن وبوصوله إلينا سالما من التغيير والتحريف.
٤. تفسير القرآن الكريم: فمعرفة المكي والمدني سبب كبير في الكشف عن أسباب النزول للآيات أو السور، مما يعين على فهم الآية وتفسيرها.
٥. الدعوة إلى الله تعالى : فكل من المكي والمدني أسلوبه الخاص به ، والذي يمكن الاستفادة منه في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى ، فقد خاطب القرآن المؤمنين وأهل الكتاب بما يلائم نفسياتهم وأنماطهم ومعتقداتهم وكما يقولون "لكل مقام مقال"
٦. التعرف على السيرة النبوية والوقوف على مجرياتها ، فالقرآن الكريم هو المصدر الأول والرئيسي لمعرفة ودراسة السيرة النبوية .

ب- أقوال التابعين – رحمهم الله تعالى –

فقد ألحق قول التابعي بقول الصحابي؛ لأن كبار التابعين قد شاهدوا من شاهد نزول الوحي فنقلوا إلينا أقوالهم، فإذا ما أخبرونا بأن هذه الآية مكية قبل قولهم، وقد قبل الإمام الشافعي مراسيل كبار التابعين.

وقد ذكر الإمام السيوطي – رحمه الله تعالى – رواية تؤكد معرفة التابعين بالمكي والمدني وهي : سأل رجل عكرمة عن آية من القرآن فقال : (نزلت في سفح ذلك الجبل وأشار إلى سلع) .

السور المكية والسور المدنية والمختلف فيها:

ذكر الإمام السيوطي أقوالا كثيرة في تعيين السور المكية والسور المدنية ، ومن اوفقها ما قاله أبو الحسن بن الحصار في كتابه "الناسخ والمنسوخ " : المدني باتفاق عشرون سورة ، والمختلف فيها اثنتا عشرة سورة ، وما عدا ذلك مكي باتفاق :

السور المدنية العشرون، وهي:

البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنفال، التوبة، النور، الأحزاب، محمد، الفتح، الحجرات، الحديد، المجادلة، الحشر، الممتحنة، المنافقون، والجمعة، والطلاق، والتحريم، النصر.

السور المكية: وهي اثنتان وثمانون سورة: وهي عدا السور المدنية والسور المختلف فيها، وبذلك يكون عدد السور القرآنية كلها أربع عشرة ومائة سورة.

السور المختلف فيها الاثنتا عشرة ، هي :

الفاتحة ، الرعد ، الرحمن ، الصف ، التغابن ، التطفيف ، القدر ، لم يكن ، الزلزلة ، الاخلاص ، الفلق ، الناس .

كيف نحكم على السورة بكونها مكية أو مدينة:

للحكم على السورة بأنها مكية أو مدنية نتبع إحدى الحالتين:

الأول : بالنظر الى مجموع السورة (المجموع)

فإن كانت جميع آياتها مكية كانت السورة مكية، وإن كانت جميع آياتها مدنية كانت السورة مدنية كسور النور مثلا.

الثانية : بالنظر إلى أغلب آيات السورة (الأغلب)

فإن كانت معظم آياتها مكية كانت السورة مكية كسورة النحل، وإن كانت معظم آياتها مدينة كانت السورة مدينة، كسورة محمد مثلا.